

الأصل الأكسومي الحميري للأسرة الملكية في مملكة المقرة (رؤية نقدية تحليلية)

د/ عوض أحمد حسين شبا

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

المستخلص:

تهدف هذه الورقة إلى تقديم ملاحظات حول أطروحة الأصل الأكسومي الحميري لملوك المقرة (500-1500م) وذلك بالاستعانة بنتائج الدراسات الآثارية التي تناولت حضارة ما بعد مروي، النقوش التي خلفها ملوك أكسوم وأشارت إلى أمتداد نفوذهم إلى السودان وادي النيل، كما اهتمت بالإشارات الواردة في المصادر العربية حول أصول ملوك المقرة، فضلا عن الروايات الشفهية لبعض الأسر في دنقلا-عاصمة المقرة- التي تزعم بأنهم من السلالة الملكية التي حكمت في دنقلا.

إعتمدت هذه الدراسة علي المنهج التاريخي التحليلي وبعض المناهج المساعدة لأن موضوع الدراسة قد يجنح أحيانا للتطرق لعلوم أخرى مثل الإجتماع واللغة من أجل مناقشة مستفيضة للأطروحة المذكورة وخلصت إلي القول بأن الأصل الأكسومي الحميري لملوك المقرة قد تسندها عدة شواهد أثرية وتاريخية ولكن تحتاج لمزيد من الدراسات والبحوث.

Abstract

This paper presents observations on the thesis which advocates the himyaric - Aksumite origin of the kings of Makuria (500-1500 A.D) and that by re-reading, in the light of the new archaeological data and evidences, during the period which following the decline of Meroe kingdom in the 4th century AD and through some Aksumite descriptions and the historical references mentioned in the himyaric sources and cultural heritage of the area of the study specially Public literature, which tackled this topic in addition to the oral traditions of some families living in the area of Dongola the capital the kingdom of Makuria, the family claim that they belong to the royal dynasties in the village around the old Dongola. This paper relied on historical analytical methods as a basic approach besides some other methods because the paper sciences specially the social and linguistic ones, for sake of proving this hypothesis to analyse it as accordance to the obviousness methods and to the discussion that there are some evidences which make the himyaric Aksumite origin looks acceptable.

تمهيد

إن موضوع أصول الأسر الملكية في السودان وادي النيل مثار خلاف -وما زال- بين الباحثين، بدءاً بأصول مؤسسي مملكة نبتة في القرن العاشر ق. م، حيث برزت ثلاث آراء أو نظريات حوله،

الأولى: تقول بأن أصلهم مصري، والثانية: تذكر أن أصلهم ليبي، والثالثة: ترى أن أصلهم محلي. أما الأصول الجغرافية والإثنية لملوك مملكة المقرة (500-1500م) -إحدى الممالك الثلاث التي قامت بعد انهيار مملكة مروي وعرفت باسم الممالك النوبية المسيحية- فإن المشهور في الدراسات السودانية أن هذه الممالك تأسست نتيجة هجرات بشرية من الغرب نحو النيل عرفوا باسم النوبة أو النوباي، وبدأت هذه الهجرات منذ القرن الثالث قبل الميلاد وإستمرت خلال القرون التالية، وشكلت مهدداً كبيراً لمملكة مروي التي إنهارت في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي (يستغنى عنها بذكر التاريخ في الأعلى)، وأصبح هؤلاء النوبيون هم سادة سودان وادي النيل.

وعلى النقيض من هذه أم آراء هناك أطروحة - لم تجد حظها من النقاش - تزعم أن ملوك المقرة لهم صلة بالأسرة الملكية الأكسومية وأن هذه الصلة تمتد للأصل الحميري لهؤلاء الملوك.

وهذه الدراسة تحاول أن تقدم بعض الملاحظات الأولية حول الأطروحة الثانية - الأصل الأكسومي العربي - وذلك بإعادة قراءتها مرة أخرى وفق التطورات السياسية الإقليمية والعالمية التي صاحبت نهاية مملكة مروي، وتمثلت بصورة واضحة في محاولة مملكة أكسوم - القوى الإقليمية الجديدة - بسط سيطرتها على سودان وادي النيل، إلى جانب أطماع الإمبراطورية الرومانية في شمال وشرق أفريقيا كمدخل نطلق منه لمحاولة تقديم بعض الأضاء اتحول هذه الفترة - فترة ما بعد مروي - والوقوف على أصول الأسرة الملكية المقرة من خلال الأطروحة المقترحة.

إن المصادر الأساسية لهذه الدراسة تتمثل في نتائج الدراسة الآثارية التي تناولت حضارة ما بعد مروي، والنقوش التي خلفها ملوك أكسوم وتناولت امتداد نفوذهم السياسي لسودان وادي النيل، كما أهتمت الدراسة بالإشارات التي أوردتها المصادر العربية حول أصول ملوك المقرة، وقد أعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي مع الاستعانة ببعض المناهج المساعدة لأن موضوع الدراسة يجنح أحيانا إلى التطرق لبعض العلوم الأخرى مثل الاجتماع واللغة في سبيل التحقق من الأطروحة موضوع الدراسة. من خلال المحاور التالية:

1. نهايات مملكة مروي.
2. النفوذ الأكسومي في سودان وادي النيل.
3. الأصل الحميري لملوك المقرة.
4. النتائج والتوصيات. (هذه لا تعد محورا)

1. نهايات مملكة مروي:

تقع مدينة مروي في الضفة الشرقية لنهر النيل ما بين الشلالين الخامس والسادس شمال

قرية كبوشية الحالية بحوالي أربعة أميال وعُرفت هذه المدينة في الوثائق المصرية باسم بدوي (Bedewi) ووردت في النصوص المروية باسم مزوي (Mazewi) وقراءها الأغريق مروي، وظهرت مروي على مسرح الأحداث السياسية مع بروز الدولة الكوشية الثانية في نبتة في القرن التاسع ق.م، حيث دلت الشواهد التاريخية على أن هذه المدينة كانت مأهولة بالسكان منذ تلك الفترة وأن فرع من الأسرة الملكية في مروي كان يتبع الحكومة المركزية في نبتة منذ بداية ظهور البيت الحاكم في نبتة، وهناك من يعتقد أن المقر الملكي لمملوك كوش كان أصلاً في مروي؛ ومنذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي، أصبحت مدينة مروي من أهم المراكز السياسية في السودان وادي النيل حيث اشتهرت هذه الفترة عند الباحثين بفترة مملكة مروي والتي شهدت تطورات كبيرة في مجال الإدارة والعمارة والفنون وكذلك تعدين الحديد، واستخدمت في هذه الفترة أبجدية جديدة عرفة بالكتابة المروية واستمرت مروي في قوتها السياسية وازدهارها الإقتصادي حتى القرن الرابع ق.م، مع بعض فترات الضعف التي كانت تعترها من حين لآخر، ثم بدأت في التدهور والاضمحلال نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية ساهمت في ذلك منها الإنقسامات الداخلية والتنافس على العرش مما أضعف السلطة المركزية للمملكة، فشحج ذلك بعض أمراء المقاطعات على الإستقلال والخروج من مظلة المملكة، كما عانت المملكة من الانهيار الاقتصادي بفقدان اتصالاتها الخارجية وخاصة مع مصر بعد انسحاب الرومان من النوبة السفلى كل هذه العوامل جعلت المملكة عرضة للفوضى السياسية بين القوى المحلية المتصارعة عليها، وكذلك تعرضت المملكة لهجمات قبائل الصحراء الشرقية وتوغل مجموعات برية كبيرة عرفت بالنوبا من جهة الغرب، وفي ظل هذه الظروف الاقتصادية والسياسية القاسية التي مرت بها المملكة تعرضت لسلسلة من الحملات من مملكة اكسوم عجلت بالقضاء على مملكة مروي في منتصف القرن الرابع الميلادي⁽¹⁾.

إن المعلومات التي توضح لنا ملامح التطورات السياسية في الإقليم الشمالي في الفترة التي تلت سقوط مملكة مروي مستمدة بصورة أساسية من الكتابات والمدونات القديمة والآثار حيث يتبين لنا من خلالها أن النوبة السفلى شمال الشلال الثالث شهدت صراعاً كبيراً بين مجموعتين رئيسيتين هما: البليميون والنوباديين، وكانت الغلبة فيها للنوباديين بقيادة ملكهم سيلكو (Silco) في منتصف القرن الخامس الميلادي⁽²⁾، ويتضح لنا ذلك من خلال نقشه الذي زعم فيه أن سلطاته امتدت إلى مناطق واسعة في السودان وادي النيل من غير تحديد دقيق لتلك المناطق (أنظر: ملحق رقم 1)، ولكننا نظن أن حدود سلطاته امتدت حتى الشلال الثالث جنوباً حدود مملكة نوباتيا المسيحية في القرن السادس الميلادي والتي هي - في تقديرنا - الإمتداد السياسي والجغرافي للمملكة التي أسسها الملك سيلكو والمعروفة بنوباتيا، أما جنوب الشلال الثالث الحدود الشمالية لمملكة المقر، يبدو أنها كانت بشكل من الأشكال تحت النفوذ

الأكسومي، حيث وجد نقش أكسومي مخدوش مكتوب بالحروف الحبشية القديمة أو السبئية على الحائط الخارجي في معبد الملك تهارقا بالكوة جنوب الشلال الثالث⁽³⁾، مما يشير إلى وصول النفوذ الأكسومي إلى تلك المناطق، وسنحاول فيما يلي إعادة قراءة نقش الملك عيزانا (ملحق رقم 2)، وذلك بطرح بعض الأسئلة وقراءتها في سياق نتائج الدراسات الأثرية الحديثة علنا نجد ما يؤيد ما ذهبنا إليه في هذه الفرضية.

يحاول معظم الدارسين الذين تناولوا موضوع نهاية مملكة مروي اختزال الدور الأكسومي أحد أهم القوى السياسية الإقليمية آنذاك، في الحملة التي قادها الملك عيزانا وقضى بها على مملكة مروي في منتصف القرن الرابع الميلادي - كما هو مشهور - مما يجعلنا نطرح عدد من الأسئلة التي تحتاج للإجابة والتفسير في ظل ما هو متوفر من معلومات منها:

أ. هل من المقبول نظرياً - على الأقل من الناحية السياسية، - أن الملك الأكسومي عيزانا بعد تكبده الكثير من الخسائر البشرية والمادية في هذه الحملة، أنه عاد أدراجه دون أن يجني ثمارها.

ب. هل كانت هذه الحملة موجهة في الأساس للقضاء على مملكة مروي؟ أم ضد بعض القوى السياسية التي كانت تحاول السيطرة على إرث المملكة المنهارة؟

ج. هل كانت هناك قوى سياسية متحالفة مع مملكة أكسوم؟ وكانت الأخيرة تدعمها لتكون ذراعها التي تخدم مصالحها الاقتصادية والسياسية في المستقبل في السودان وادي النيل؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها لابد لنا في البداية من الإشارة إلى الدور العالمي في المنطقة - في الفترة موضوع الدراسة - والمتمثل في الإمبراطورية الرومانية التي سيطرت على مصر، وتحالفت مع الأكسوميين ثم حاولت الإمتداد جنوباً لتأمين الحدود الجنوبية لمصر من الناحيتين السياسية والتجارية، وكانت من نتائج هذه السياسة أن وقعت عدد من الحروب بين الرومان ومملكة مروي امتدت لفترات طويلة وانتهت أخيراً باتفاقية عام (21/20م) التي جعلت الحد الجنوبي للرومان عند بلدة المحرقة عرفها في الهامش قديماً وحديثاً، ولكن معاودة قبائل الصحراء الشرقية وخاصة البليميين هجماتهم ضد الرومان والتي تزايدت وتيرتها في منتصف القرن الثالث الميلادي، اضطر الرومان إلى الإنسحاب شمالاً حتى الشلال الأول عند مدينة أسوان وذلك عام (297م)⁽⁴⁾؛ بينما تذكر نصوص ملوك أكسوم أن البليميين كانوا من ضمن الشعوب التي كانت من رعايا مملكة أكسوم منذ القرن الثاني للميلاد (ملحق رقم 2-3)، ويبدو أن النفوذ الأكسومي امتد إلى هذه المناطق منذ فترة مبكرة، مما يشير إلى أن مملكة مروي بدأت تفقد قبضتها على أطرافها تدريجياً، خاصة المناطق الشرقية، ولكن إذا سلمنا بهذا الأمر لماذا لم تحسم مملكة أكسوم هذه الفوضى السياسية وتوقفت غارات البليميون على الرومان الذين تربطهم بها علاقات سياسية وتجارية وثقافية مميزة؟

النفوذ الأكسومي في السودان وادي النيل:

تشير الأدلة التاريخية إلى أن العلاقة بين المملكتين المروية والأكسومية كانت - في الغالب - سلمية حيث تربطهما المصلحة التجارية المشتركة منها ما جاء في كتاب «دليل الملاحة في البحر الأحمر» والمشهور اختصاراً (Periplus) خطه بحار أغريقي مجهول في القرن الأول الميلادي، ذكر فيه أن مملكة أكسوم كانت حلقة الوصل في تجارة العاج ما بين مينائها أدوليس على ساحل البحر الأحمر وبين المناطق الواقعة على النيل⁽⁵⁾، ويبدو أن التنافس التجاري والمحافظة على المكاسب الاقتصادية بين المملكتين للسيطرة على تجارة أفريقيا قد أفرز نوعاً من سوء التفاهم بين الطرفين أدى إلى بعض المناوشات منها ما ورد في نقش صخري بجبل قبلي في منطقة البطانة يصور انتصاراً للملك المروي شركارير (Sherkrer) على أعداءه، ويرى هنتزا (Hintze) أن هؤلاء الأعداء هم الأكسوميين⁽⁶⁾ بالرجوع إلى الهامش 6 في المصادر والمراجع لا نجد ذكراً لـ Hintze إنما المصدر هو محمد إبراهيم بكر فكيف يجوز هذا؟!، ولدي ميل لهذا الرأي لأن القوة العسكرية الوحيدة القادرة على حرب المرويين في الشرق هم الأكسوميين، وأن الحروب بين المرويين والرومان حلفاء الأكسوميين قد أغرتهم بالتدخل في حدود مملكة مروي وربما بإيعاز من الرومان، أو أن الأكسوميين رأوا ضعفاً في الدولة المروية نسبة لانشغالها في حروبها مع الرومان مما أدى لفقدانها السيطرة على المناطق الشرقية من المملكة، لذا أرادت مملكة أكسوم ملء الفراغ السياسي في هذه المناطق وخاصة أن البليبيين كانوا يثيرون الكثير من الفوضى وعدم الاستقرار مما يؤثر على التجارة الدولية.

من الواضح أن الأكسوميين كانوا يضعون أمامهم هدفاً إستراتيجياً في علاقتهم مع مملكة مروي وهو سلامة الطرق لتجارة الوارد والصادر في أفريقيا، لذا نلاحظ أن متى ما ضعفت مروي في السيطرة على التجارة تدخلت أكسوم، منها ما جاء في النص الإغريقي على لوح من حجر البازلت الذي وجد في مروي وعثر عليه سايس (Sayse) يحمل الرقم (508) بمتحف الخرطوم وهو تخليداً لذكرى أحد ملوك أكسوم قبل غزو الملك عيزانا، حيث ورد في النص آرس (Ares) إله الحرب عند الإغريق⁽⁷⁾، ويرجح فوزي عبد الرازق بيلى أن هذا النص يعود للعقد الأول من القرن الرابع الميلادي في فترة حكم الملك (ألاعميدا) والد عيزانا أحد ملوك أكسوم الأقوياء الذي حقق توسعاً كبيراً نحو الغرب على حساب مملكة مروي التي كانت تعاني من الضعف والتفكك، مما تسبب في إضطراب سير التجارة الأفريقية مع أكسوم، لذا انتهت دوافعه للقضاء على قوة مروي والسيطرة عليها⁽⁸⁾.

ولعل من أشهر الوثائق نقش عيزانا ملك أكسوم المكتوب باللغتين الجعزية والإغريقية، والذي أشار فيه إلى أنه جاء أساساً لمحاربة النوبة وهي إحدى الشعوب التي كانت متواجدة بكثرة في السودان وادي النيل وأصبح لها نفوذ سياسي واجتماعي، وورد كذلك في النقش سيطرته على كاسا

(كوش) (ملحق رقم «2»)، وتعددت التحليلات لهذا النقش وأصبح أحد المحاور التي ينطلق منها معظم الدارسين لتصور درامي لنهاية مروي، ولكن من خلال قراءة متأنية للنقش يبدو أن هذه الحملة كانت موجهة لتأديب بعض الشعوب التي كانت تثير الفوضى داخل الإمتداد السياسي لمملكة أكسوم والتي كانت من ضمنها مملكة مروي، فقد ورد في نقش جعزي بالكتابة السيئية يعود إلى بداية الربع الثاني من القرن السادس الميلادي - وجد ضمن نقوش أخرى عام 1968م في مدينة أكسوم -: «أنا كالب آلا أصبح ابن تازينا رجل لذب، ملك أكسوم وحمير وذو ريدان وسبا وصالحين والبلاد العليا واليمن والسهل الساحلي وحضرموت وكل أعرابها والبجة والنوبة وكاسو وسيامو ودريت (Drebt) ولبد تفي (Tfy) خادم المسيح الذي لم يهزمه أحد...» (ملحق رقم «3»). ويشير هذا النقش بوضوح إلى مناطق نفوذ مملكة أكسوم في عهد الملك كالب، وما يعيننا بصورة مباشرة في هذا النقش إضافة النوبة جغرافية أو سكاناً ضمن المناطق الخاضعة لمملكة أكسوم لأول مرة رغم أن الملك عيزانا أورد في نقشه - كما بينا سابقاً - بأنه حارب النوبة وأنتصر عليهم مما يجعلنا نقول - ربما بشيء من الاطمئنان - أن النوبة والسودان النيلي حتي الشلال الثالث كانت داخل دائرة نفوذ الملك عيزانا بصورة من الصور كما أشرنا إليه - وظلت خاضعة لمملكة أكسوم حتى فترة حكم الملك كالب - أي تاريخ النقش في الربع الثاني للقرن السادس الميلادي - وهي الفترة التي ظهرت فيها بعض الكيانات السياسية وتطورت فيما بعد وعرفت بالممالك النوبية المسيحية في منتصف القرن السادس الميلادي.

من جانب آخر نستنتج هنا نظرية أثرية ما زالت في بواكيرها تقول: إن بعض القلاع والحصون الموجودة على النيل في منطقة المنحنى تشبه إلى حد كبير التصميمات المعمارية الأكسومية وخاصة القلاع المبنية من الحجر الأسود، ويُعتقد أن قلعة الضيقة كانت مدينة أكسومية، فضلاً عن بعض المؤثرات الثقافية الأكسومية في المنطقة مثل وجود رسومات لنجمة داوود، وسمكة وثلاثة نجومات، ومعلوم أن السمك هو شعار المسيحية الأولى⁽⁹⁾، ورغم أننا لا نستبعد التأثيرات المعمارية والثقافية المتبادلة بين الطرفين فإن هنالك ثمة ما يجعلنا نقول على ضوء المعطيات والإشارات التي قدمناها أن ملوك أكسوم ربما قد أؤكلوا إدارة الأمور السياسية في بعض المناطق التي كانت تسيطر عليها مملكة مروي لمجموعات تدين بالولاء ومن الجائز أن مملكة أكسوم كانت لها صلة بالأحداث التي جرت في تلك الفترة مثل دعم حلفاءها وخاصة المناطق الشمالية من الكيانات القبلية والسياسية وكانت النواة الأولى لتشكيل الممالك النوبية.

وهناك بعض الشواهد الثقافية تشير إلى الأثر الأكسومي في السودان وادي النيل مثل رواية لأسرة الكشكشاب - آخر ملوك دنقلا عل حسب الروايات الشفاهية - هو حسن كشكش بن نقد الله بن أنباس، وأنباس حسب روايات الأسرة تعني أسد، وعند البحث في أصل هذا الاسم أتضح أن أحد أباطرة الحبشة هو الإمبراطور داويت الثاني (1507-1540م) كان يحمل لقب (أنباسا سنجد

(Anbasa Segad) الذي يعني باللغة الأمهرية الذي تنحني أو تسجد له الأسود فبحسب قاموس اللغة الأمهرية، فالأسد يعني أنبasa، ونجد هذا الاسم في أحد أسماء ملوك المقررة المتأخرين وهو كود أنبasa، وتكتب أحياناً كرنبس، فربما كان هذا الاسم مكوناً من مقطعين أحدهما أنباس. أما عن تركيب مقاطع الاسم الأول من اسم الملك كود أنباس أن كو تعني في اللغة الدنقلاوية النوبية «الأسد»، وترادف الأسماء في الثقافة النوبية معروف وشائع، إن وجود اسم حبشي في أسماء ملوك المقررة قرينة ترجح وجود علاقات مشتركة بين ملوك المقررة والحبشة وربما كانت تاريخية سياسية أو دينية⁽¹⁰⁾، ونضيف ملاحظة أخرى وهي التأثير الحبشي مثل اقتباس بعض الرموز والشارات الملكية مثل خاتم الملك سليمان-أشرنا إليه-، وكذلك هناك بعض الروايات التاريخية* تفيد بأن منطقة الدُفار - جنوب العاصمة دنقلا - كانت تقطنها مجموعات حبشية ورغم ضعف هذه الروايات إلا أن بعض الرواة يدعمونها ببعض الأدلة الثقافية التي لا تزال تمارس في المنطقة حتى اليوم مثل استخدام كلمة «سي سي» والتي تقال للعرسان حبشية الجذور، إضافة إلى ذلك فإن بعض أسماء المناطق قد ترجع لأصول حبشية مثل اسم الدُفار وتعني القوى⁽¹¹⁾، وكذلك اسم دبة ربما تكون لها صلة بكلمة دبرا (Debra) التي تعني دير في اللغة الحبشية⁽¹²⁾، وأيضاً اسم دنقلا - عاصمة مملكة المقررة - ربما مأخوذة من الكلمة الأمهرية دنقل التي تعني العذراء، ويبدو أن هذا الربط مقبول لأن مدينة دنقلا كانت مركزاً مسيحياً مهماً إلى جانب كونها عاصمة سياسية؛ وقد نجد لهذه الإشارات صدى في آراء بعض الباحثين مثل الأب ج. فاننيني الذي يقول بالأصل الواحد لملوك أكسوم والمقررة وذكر وجود بعض التقاليد المشتركة للأسرة الأكسومية المالكة والأسرة النوبية المالكة⁽¹³⁾ دون أن يشير إلى هذه التقاليد.

الأصل الحميري:

الصلات بين شبه الجزيرة العربية وسواحل البحر الأحمر الأفريقية قديمة جداً، والمعلومات وافرة لكنها تحتاج للمراجعة والتحليل والتدقيق، ولا يتسع لها المجال في هذه الدراسة الموجزة، لذا سنكتفي باستعراض خلاصة دراستين اهتمتا بهذا الموضوع، الأولى لأحمد الياس حسين بعنوان: «السودان.. الوعي بالذات وتأسيس الهوية»، والتي تعرض فيها بالنقد والتحليل لمعظم الروايات التي وردت في المصادر اليونانية والرومانية والمصادر العربية المبكرة والدراسات الحديثة، وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن فقر سواحل البحر الأحمر السودانية كانت سبباً في عدم تكون مستوطنات عربية ومراكز تجارية كبيرة، بينما كانت سواحل شرق أفريقيا الواقعة على المحيط الهندي الغنية تساعد في تزويد الساحل بإحتياجاته، لذا فأن العرب قد أنشئوا فيها عدد من المراكز التجارية، كم كان تأثيرهم كبير على السواحل الحبشية مقارنة بالسودانية، وقد سهل مضيق باب المندب العبور بين ساحلي البحر الأحمر، وخاصة في عهد دول مملكتي سبأ ومعين حيث وردت الكثير من الأدلة الأثرية التي تؤكد هذه الهجرات في هذه الفترة فضلاً

عن العلاقة بين اللغتين الحبشية والعربية اللتان تنتميان إلى مجموعة اللغات السامية. ويرى أن معظم الهجرات العربية إلى السودان وادي النيل كانت تتم عن طريق العبور من سواحل اليمن إلى الحبشة أولاً، ثم إلى السودان، إما عبر تحركات سلمية من أجل الاستقرار والتجارة، أو تحركات من أجل الغزو⁽¹⁴⁾. {ما رأيك أنت كباحث في ما ذكره أحمد الياس؟}

ومن وجهة نظر أخرى يستعرض مكمايكل (H. A. Mac Mcheal) في كتابه: «تاريخ العرب في السودان» أقوال بعض القدماء ونتائج بعض الدراسات الأثرية التي تشير إلى أن التواصل بين جانبي البحر الأحمر على امتداده كان حميماً، وأن التجارة كانت مزدهرة مع موانئ مصر والسودان والحبشة منذ عهد قديم، وكان التجار يذهبون بتجارهم حتى النيل عن طريق وادي حمامات الذي يمتد من الشرق إلى الغرب بين البحر الأحمر وطيبة، وترتب على هذا التواصل والتداخل بالتأكيد امتزاج هذه المجموعات مع بعضها، ومما يؤيد هذا القول بعض النقوش الصخرية، والإنتشار الواسع للأصداف البحرية التي جلبت من ساحل البحر الأحمر في مقابر الأسرات في مصر العليا والنوبة، وتشير كذلك بعض المدونات التاريخية إلى أن العلاقات بين الجانبين لم تقتصر على التجارة فقط بل تخللتها غزوات قطحانية وحميرية لوادي النيل نتج عنها خلال فترات متلاحقة وجود مستعمرات للحميريين الذين استقروا في بلاد النوبة، ولعل إنتشار عبادة الشمس في المستعمرات الحميرية في الحبشة وفي ذات الفترة عبادته في معبد تالمس (كلايشة) في بلاد النوبة والتي استمرت حتى إنتشار المسيحية في القرن السادس الميلادي، أوجدت نوع من التقارب بين المجموعتين مما سهل عملية التمازج بين الحميريين والشعب القاطن في بلاد النوبة، وقد ذهب بعض الكتاب - مثل بليني وجوبا - إلى أبعد من ذلك إلى القول بأن سكان وادي النيل من أسوان وحتى مروي كانوا من العرب، ويعلق على هذا القول بأنه قد يكون فيه نوع من المبالغة ويضيف رواية تقول المتأخرين من الحميريين قد شنوا غارة في العقود الأولى للعهد المسيحي على بلاد البجة بحثاً عن الزمرد⁽¹⁵⁾.

نستخلص من هذين الاستعراضين أن هناك شبه اتفاق على تسرب مجموعات عربية حميرية إلى السودان وادي النيل في فترات متباعدة وخاصة بعد انهيار مملكتي معين وسبأ وتدفع الهجرات البشرية من جزيرة العرب إلى شرق إفريقيا وإن كنا نلاحظ تركيز أحمد الياس على الهجرات عبر البحر الأحمر وإشارات مكمايكل المتكررة إلى إنتقال بعض المجموعات العربية إلى مصر عبر صحراء سيناء منذ القدم ثم إنتقالها عبر النيل جنوباً إلى بلاد النوبة، ونلاحظ أن بعض المصادر العربية التي تناولت تاريخ الممالك النوبية أشارت بوضوح لأصول ملوك المقرة فقد أورد المسعودي: « وملوكهم النوبة تزعم إنها من حمير، وملكهم يستولي على معدن ونوبة وأرض علوا...»⁽¹⁶⁾، ويقول ابن سليم الأسواني: « أعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل، فالنوبة هم المريس المجاورون لأرض الأسلام. وبين أول بلدهم وبين أسوان

خمسة أميال ويقال: أن سلها جد النوبة، ومقري جد المقررة من اليمن. وقيل النوبة ومقري من حمير...»⁽¹⁷⁾، وكذلك أورد ياقوت الحموي: « وملوكهم يزعمون أنهم من حمير، ولقب ملكهم كابيل، وكتابتته إلى أعماله وغيرهم من كابيل ملك مقري ونوبة».⁽¹⁸⁾ وفي فرضية لدي فيلارد يقول: « ليس بمستبعد أن الأسرة المالكة النوبية ترجع في أصلها إلى جنوب الجزيرة العربية، إذ عبر الحميريون البحر الأحمر واستقروا في السودان حيث نقلوا أسماء أجدادهم مثل: كوة، دراو، سبا، ولا يستبعد أن تكون الأخيرة حرفت إلى سوبا عاصمة علوة»⁽¹⁹⁾.

إن هذه الإشارات الصريحة للأصل الحميري لملوك المقررة في المصادر العربية إضافة للاستنتاجات والفرضيات التاريخية المطروحة حول هذا الموضوع- والتي لم تجد اهتماماً كبيراً من الباحثين - تقودنا لربطها - بحذر شديد - الأول بالنفوذ الأكسومي في السودان وادي النيل وعلاقة ملوك المقررة بالأسرة الأكسومية الحاكمة، حيث يرى محمد إبراهيم بكر أن مملكة أكسوم التي قامت في الجزء الشمالي للمرتفعات الأثيوبية كانت نتيجة لهجرات من جنوب الجزيرة العربية تشمل السبئيين على الأرجح في أواخر الألف الأخيرة قبل الميلاد، ثم أصبحت في بداية القرن الأول الميلادي مركزاً تجارياً مهماً ورائداً في شمال شرق أفريقيا وأزدهرت فيها العمارة الدينية والمدنية، واشتهرت فيها عبادة القمر التي انتقلت إلى أكسوم من سبا⁽²⁰⁾، وهذه الإفادة قد تقدم لنا إضاءة أولية حول إمكانية الربط بين الأصل العربي الحميري لملوك المقررة والأصل الأكسومي، وتفتح آفاق جديدة لمزيد من الفرضيات التاريخية.

الخاتمة:

في خاتمة هذه الدراسة والتي خلصت إلى نتيجة أساسية وهي بأن أطروحة الأصل الأكسومي العربي لملوك مملكة المقررة قد تؤيدها شواهد تاريخية متعددة تحتاج لمزيد من البحوث -على غير المعتاد - سنكتفي بطرح بعض التساؤلات، التي ربما تفتح أبواباً للبحث والدراسة.

أولاً: شاع عند الباحثين في تاريخ السودان وصف الفترة التالية لسقوط مروي وحتى قيام الممالك النوبية (350-550م) بالفترة الغامضة ومؤخراً بحضارة ما بعد مروي، وهذا الوصف يشمل كل الجغرافية السياسية لمملكة مروي دون وضع إعتبار للتطورات السياسية والاجتماعية والإقتصادية لكل الأقليمية للمملكة، فمثلاً في سودان وادي النيل وفي الشمال في إطار الجغرافية السياسية التي قامت فيها مملكة نوباتيا لاحقاً، شهدت صراعاً بين البليبيين والنوباتيين كانت الغلبة في النهاية للنوباتيين، أما جنوبها وفي إطار الجغرافية السياسية التي قامت فيها لاحقاً المملكتين الوسطى المعروفة بالمقررة، والجنوبية المعروفة بعلوة، كانت على الغالب مسرحاً للصراع بين المجموعات المحلية والأكسوميين ترجحت فيها كفة المملكة الأكسومية، مما يطرح تساؤلاً عن الوضع السياسي فيها، هل كانت هذه المنطقة تحت الوصاية السياسية والاقتصادية المباشرة أو غير المباشرة للمملكة الأكسومية، ثم تراخت فيما بعد القبضة الأكسومية فظهرت هاتان المملكتان من خلال تفاعل بعض العناصر الأكسومية النشطة أو الموالية لها، والتي ربما تبوأ مراكز إجتماعية وإقتصادية متقدمة في تلك الفترة؟.

ثانياً: بناءً على الفرضية السابقة، ما هي المجموعة التي حكمت مملكة المقررة بدعم من الأكسوميين؟ وهل كانت مجموعات محلية لها صلة بالأسرة الملكية المروية وموالية للأكسوميين؟ أم هم من نفس المجموعات العربية الحميرية التي قدمت إلى شرق إفريقيا بعد إنهيار سد مأرب وكان لها دور في تأسيس مملكة أكسوم وواصلت بعضها هجرتها حتى استقرت في سودان وادي النيل، ثم وجدت دعماً من الأكسوميين بعد امتداد نفوذهم إلى هذه المناطق لاحقاً؟ أم هي خليط متصاهر من المجموعتين؟

ثالثاً: في نهاية هذه الخاتمة نتقدم بتوصيتين:

الأولى: مقترح بتسمية الفترة ما بين عامي (350-550م) بالفترة الأكسومية بدلاً من حضارة المجموعة الغامضة أو حضارة ما بعد مروي، لأن السمة البارزة فيها -على حسب تقديرنا- تنامي النفوذ الأكسومي خاصة في الشرق والوسط.

الثانية: إجراء مزيد من الدراسات حول هذه الأطروحة والبحث في الذاكرة الشعبية للأسر والعائلات الموجودة حول دنقلا عاصمة مملكة المقررة - والتي تزعم صلتها بالأسرة الملكية المقررية - والتي ربما تحمل معلومات مفيدة حول هذه الفترة، وهذا الموضوع.

المصادر والمراجع:

1-لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع:

1. عمر حاج الزاكي، مملكة مروي - التاريخ والحضارة، ط2، (السودان: سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السدود، إصدار رقم (7)، 2008م).
2. 169-Kirwan, L.P «The Decline and Fall of Meroe» Kush,8,1960.PP163.

2-لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع:

- سامية بشير دفع الله، نوبة النيل، أصولهم ودورهم في تاريخ السودان القديم، ط (الخرطوم: در المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2017م).
3. نفس المرجع، ص 152.
4. محمد إبراهيم بكر، تأريخ السودان القديم،(القاهرة: دار المعارف، 1983م)، ص 201-2019.
5. نفس المرجع، ص 215-220.
6. Hinte,Preliminary Report of the Butana Expenditon,1958,Kush Vii (1959) p189ff. fing 2,porter-Moss VII, p272.
7. نفس المرجع، ص 2015. الأب، ج. فانتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، (الخرطوم، 1987م)، ص 39.
8. فوزي عبد الرازق بيلي مكاوي: «مملكة أكسوم، دراسة لتاريخ المملكة السياسية وبعض جوانب حضارتها»، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1974م، ص 65.
9. على عثمان محمد صالح، عالم آثار (بروفيسير)، مقابلة بمكتبه، قسم الآثار، جامعة الخرطوم، بتاريخ 19 يوليو 2016م.
10. عينات من عمق تاريخ السودان، الحلقة (1): (ملوك المقررة)، موقع السلالات العربية على شبكة الانترنت.
11. عوض أحمد حسين شبا، الدُفار المملكة المنسية، دراسة غير منشورة.
12. أو - جي، كروفورد، مملكة الفونج السنارية، ترجمة: البشير الصادق البشير، ط1 (الخرطوم: سلسلة كتاب سنار، ضمن فعاليات عاصمة للثقافة الإسلامية، 2017م).
13. الأب، ج. فانتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، (الخرطوم، 1987م)، ص 39.
14. لمزيد من التفاصيل راجع: أحمد الياس حسين، السودان الوعي بالذات وتأصيل الهوية، ج1، (الخرطوم، 2008م).

15. هارولد م. مكميل، تاريخ العرب في السودان بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور، الكتاب الأول، تعريب: سيد محمد علي ديدان، ط1، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2012م)، ص 21-31.
16. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الحسيني الشافعي (ت346هـ/ 956م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، في مصطفى محمد مسعد، المكتبة العربية السودانية العربية - مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، (الخرطوم: من مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972م) ص 50.
17. ابن سليم الأسواني، عبد الله أحمد بن سليم الأسواني (ت386هـ/ 996م) كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، في: مصطفى محمد مسعد، المرجع السابق، ص 98-99.
18. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحبشي الحموي المولد، (ت626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، في: مصطفى محمد مسعد، المرجع السابق، ص 166.
19. مصطفى محمد مسعد، المرجع السابق، ص 99.
20. محمد ابراهيم بكر، المرجع السابق، ص 214.

الملاحق:

ملحق رقم (1)

نقش الملك سلكو

« أنا سلكو ملك النباطيين، وكل الأثيوبيين ذهبت إلى Talmis (كلاشة)، Taphis وحاربت البلميين مرتين وأعطاني الآله النصر، وبعد الثلاث مرات انتصرت مرة أخرى (عليهم) واحتللت مدنهم، وثبت نفسي هناك مع جيوشي، وفي المرة الأولى هزمتهم وعقدت معهم سلاماً، وحلفوا لي بأوثانهم، وصدقت إيمانهم، لأنني اعتقد أنهم رجال أمناء، ثم عدت إلى أقاليمي العليا، وعندما أصبحت ملكاً لم أتخلف عن الملوك الآخرين، ولكنني كنت في مقدمتهم (بأعمالتي)، فأولئك الذين يبحثون عن القتال معي فأني لم أتركهم يقعدون في بلادهم، إلا بعد أن خضعوا لي، لأنني أسد في البلد الأسفل (وغزال؟) في البلد العلوي. وحاربت البلميين من أبريم Telelis مرة. ثم (حاربت) النباطيين الآخرين في البلد العلوي (الجنوبي)، واكتسحت بلادهم لأنهم سعوا إلى القتال معي.

أما سادة البلاد الأخرى الذين تقاتلوا معي فأنا لم أتركهم يقعدون في الظل، بل في الخارج تحت الشمس. بدون أن يشربوا قطرة ماء في داخل بيوتهم، لأنهم كأعداء لي، فأني أخذت نساءهم وأطفالهم».

(نقلا عن: بكر، 1983م: 226).

ملحق رقم (2)

نقش باللغة الجعزية (عن حرب عيزانا للنوبا وكاسو)

بعد عام 330م (؟) تقريباً

1. بارادة سيد السماء الذي في السماء وعلى الأرض القدير على كل شيء (موجود).
2. عيزانا، ابن الا أعميدا، رجل هالن، ملك أكسوم و
3. حمير وريد ان وسبأ وصالحين وسيامو وبجة و
4. كاسو، ملك الملوك، ابن الا أعميدا (25)، الذي لا يقهر من الأعداء
5. بارادة سيد السماء، الذي جعل مني سيده، الذي إلى الأبد، هو الكامل
6. بحكم الذي لا يقهر من الأعداء، لن يقف أمامي عدو وليس خلف سوف يلحقني عدو،
بأرادة سيد الجميع، قمت بحرب ضد النوبا لأن الناس النوبا ثاروا
7. وقد جاهرنا بذلك. وأنهم (الأكسوميين) سوف لا يعبرون نهر تيكازي (26) قال الناس
8. النوبا. وكانوا معتادين على مهاجمة الناس المانجورتو والخاسة (27) والباريا والسود
9. وقاموا بالحرب ضد الناس الحمر (28) ومرتين وثلاث (مرات) حنثوا بتعهداتهمو
10. قتلوا جيرانهم بدون سبب كاف، ونزعوا ملابس وسرقوا أمتعة نوابنا ورسلنا الذين
11. أرسلتهم لكي يسألوهم عن سرقاتهم، وسرقوا منهم
12. أسلحتهم الخاصة للدفاع عن أنفسهم. ونظراً لأنني قد أرسلت اليهم
13. تحذيرات، ولأنهم لم يسمعون لي ورفضوا أن يمتنعوا عن أعمالهم السيئة أطلقوا اللعنات
على
14. عندئذ أعدوا أنفسهم للهرب، لقد قمت بالحرب ضدهم وظهرت عليهم ارادة سيد
15. الأرض، وقد حاربتهم على نهر تيكاري عند قلعة كيما لكي. وعندئذ أخذوا الهرب ولم
16. يأخذوا في الوقوف، وقد تتبعت الهاربين لمدة 23 يوماً.
17. أقل (البعض) وأسجن (آخرين) وأستولى على الغنائم أينما ذهبوا والسجناء و
18. الغنائم أحضرها لي رعاي الذين ساروا في البلاد وبصفة رئيسية لقد أحرقت مدنهم
19. (سواء) تلك التي بنيت من اللبن أو تلك التي بنيت من البوص، وقد حمل (جنودي) طعامهم،
ونحاسهم وأيضاً حديدهم و
20. نحاسهم (الأصفر) (؟) ودمروا تماثيلهم (صورهم) ومنازلهم (معابدهم) ومخازن طعامهم
وأشجار القطن (29)
21. أغرقوهم في نهر سيدها وكان هناك (رجال) كثيرون ماتوا في المياه،
22. عددهم غير معروف لي، وقد أغرق (الجنود) سفنهم في النهر بينما كانت مكدسة بالناس
23. سواء النساء أو الرجال، وقبض على اثنين من الرؤساء 2-- الذين
24. جاءا كجواسيس يركبان الأبل (30)، وكان اسماهما

25. يساكا Yasaka - - وبوتالي Butale وقبضت على أنجابيني Angabena ذات أصل نبيل وهؤلاء ماتوا، الرؤساء
26. داناكو Danako داجالي Dagale، أناكو Anako، هواري Hawari كاركارا Karakara، وسيدهم (كاهنهم) الذي
27. أصابوه (الجنود) وأخذوا منه تاجاً من الفضة (3) وخاتماً من الذهب الرؤساء
28. الذين ماتوا كانوا خمسة 5-- وأحد الكهان 1-- ووصلت إلى كاسو وحاربت معركة وجعلت سجناء من أهلها عند
29. ملقى نهري سيد وتيكازي، واليوم التالي لوصولي أرسلت
30. غارة على البلاد، جيش ماحازا وجيش هارا وجيش داماماو Damawa وفالكا وسيرا
31. أعلى النهر سيدها، المدن التي بنيت من اللبن وتلك التي بنيت من البوص، أسماء المدن التي
32. بنيت من اللبن كانت علوة 1- - (و) دارو 1-- وقتلوا وقبضوا على سجناء وأغرقوا (أناس) في
33. الماء وعادوا سالمين ومسموعي الكلمة، بعد أن أرعبوا أعداءهم وهزموهم بأرادة سيد
34. الأرض وبعد ذلك أرسلت جيش هالن وجيش لادن و
35. جيش سابارات Sabarat وفالكا وسيرا أسفل نهر سيدها (ضد) مدن النوبا الذي قد (صنعوا)
36. من البوص 4-- مدن 1-- نبويس المدن التي بنيت من اللبن التي أخذنا كانت تابيتو 1-- و
37. فيروتوي 1-- ووصل جنودي عند حدود النوبا الحمر (31) وقد عادوا سالمين ومسموعي الكلمة
38. وبعد أن قبضوا على سجناء وقتلوا النوبا وأخذوا الغنائم منهم بارادة سيد
39. السماء - وقد زرعت (أقمت) عرشاً في تلك البلاد في مكان يلتقى فيه نهري
40. وشيكازي في مقابل المدينة ذات المنازل اللبن التي... الجزيرة، أن الأشياء التي أعطاني
41. سيد السماء هي: رجال أسرى 214 وسيدات أسرى 415 ومجموع الأسرى 629
42. رجال قتلوا 602 وسيدات وأطفال قتلوا 156 ومجموع الذين قتلوا 700 و
43. 58 مجموع السجناء والذين قتلوا 1387 والغنائم أبقار 10.500
44. 60 وأغنام 51.050 وقد زرعت (أقمت) عرشاً هنا في ساد وبارادة
45. سيد السماء، الذي ساعدني وأعطاني السلطة
46. هل يجب أن يجعل سيد السماء مملكتي قوية مثلما جعلني انتصر اليوم على أعدائي
47. هل يجب أن يهزم لي أينما أذهب، ومثلما أنتصر لي هذا اليوم وشتت لي
48. أعدائي (سوف أحكم) الناس بالحق والعدل، وسوف لا أظلمهم، سوف يحافظون (على)

-
49. هذا العرش الذي أقمته لسيد السماء الذي جعلني ملكا
50. (و) الأرض التي تحمله إذا وجد أي إنسان الذي سوف يحركه أو يهدمه أو يكسره فانه هو
51. زذريته، سوف يطردون ويشتتون من الأرض وسوف يطردون وقد أقمت
52. هذا العرش بارادة سيد السماء
- (نقلاً عن: مكاوي)

ملحق رقم (3)

نقش الملك كالب ألا أصبح

نقش جعزي بالكتابة السبئية عن حروب الملك كالب حوالي بداية الربع الثاني من القرن السادس الميلادي، وقد عثر على هذا النقش عام 1968م في مدينة أكسوم، وقام بدراسته العالم روجيه شنيدر (R. Schneider)، ووضح الملك كالب في النقش حدود مملكته قائلاً: « أنا كالب، ألا أصبح، ابن تازيتا رجل لزن، ملك أكسوم وحمير وذو ريدان وسبأ وصالحين والبلاد العليا واليمن والسهل الساحلي وحضر موت وكل إعرابها والبجة والنوبة وكاسو وسيامو ودربت (Drebt) ولبلد تفي (Tfy) خادم المسيح الذي لم يهزمه أحد...». (نقلاً عن: مكاوي: 97)